الصورة النمطية للعرب والإسلام في الإعلام الغربي

**تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 13 نوفمبر 2016**

**بقلم: الدكتور زكريا خنجي**

ينظر الإنسان الغربي – من خلال عيون وسائل الإعلام الغربية المختلفة – إلى الإنسان العربي على أنه إنسان سمين متدلي الكرش، جالس على طاولة المقامرة وأمامه برميل من النفط، وأموال مكدسة لا يعرف كيف يتصرف فيها لذلك فهو يقامر ويشتري الجواري والرقيق والأسلحة، وحواليه مجموعة من الجواري، يدخن بشراهة، ذو لحية سوداء كثة غليظة، وهو متجهم الوجه لا يضحك ولا حتى يبتسم إلا عندما يولي وجه جهة الجواري.

صورة نمطية نجدها بطريقة أو بأخرى في الكثير من الأفلام الغربية.

يقول الأستاذ يامين بودهان – أستاذ بقسم علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف – الجزائر في بحثة الموسوم بعنوان (تشكيل الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي): "ترسم للعرب المسلمون في وسائل الإعلام الغربي من أفلام سينمائية ورسوم كاريكاتيرية وصور متحركة .. صورًا نمطية متحيزة وغير منصفة وتروج في صور حملات إعلامية ويتعرض لها ملايين من الناس في وقت واحد تقريبًا، فيتأثرون بها ويتلقفونها بينهم وترسخ في عقولهم جميعًا، فتتكون ثقافة جمعية تعادي المسلمين والإسلام بصورة خاصة.

ويصنف المسلمين حسب الكاتب الأمريكي جاك شاهين الأستاذ في قسم الإعلام في جامعة (**Southern Illinis**) في كتابة "المخادعون" العرب في وسائل الإعلام الغربية إلى أربعة تقسيمات وذلك بعد دراسة تحليلية لأكثر من **900** فيلم سينمائي أمريكي، حيث توصل الباحث إلى استنتاج أن العرب يصورون تبعًا لأكثر التصنيفات خشونة وسلبية، هم شيوخ مترفون ذوو كوفيات وقمصان تظهر جليًا علامات الترف والبذخ وانتفاخ البطن والسمنة المفرطة، وهم إرهابيون عديمو الضمائر ذوي لحى طويلة، قاذفو قنابل، قتلة ولا يتورعون عن قتل الأبرياء، وقد ترسخت هذه الصورة أعمق سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر **2001**.

وهم كذلك تجار مخادعون معتوهون وأغبياء، وأخيرًا مجرمون بأنوف معقوفة مستعدون للقتل بسيوف مشهرة حينًا وأسلحة آلية حينًا آخر، أما النساء العربيات بدورهن فهن إما حريم مغويات أو شبه عاريات، أو بحر من العباءات السوداء يتبعن أزواجًا طويلي اللحى بصمت المغلوب.

أما الإسلام فيصور على أنه دين قبلي وبدائي، والمسلمون هم حملة التخلف والبدائية، ويشير شاهين إلى أن هوليود قد غالت في تشويه سمعة العرب والمسلمين، إذ عرضت شريطًا لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطرًا رهيبًا يتهدد الآخرين، ويخرج شاهين من كل ذلك بقوله "دلت أبحاثي التي دامت أكثر من عشرين سنة على أن كلمتّي (عربي ومسلم) تثيران ردود فعل عدائية يصعب معها على الجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال، وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض المسلمون".

ويواصل الأستاذ بودهان فيقول "يصور الإعلام في الغرب العرب على أنهم أناس غرباء ومعادين، واتهموا بأنهم لا يشاركون الغربيين في قيمهم ويميلون على التآمر على الآخر واعتبروا خطرًا على الحضارة الغربية ومصدر الإرهاب الدولي، ويضطر العربي المقيم في الغرب أن يشرح تكرارًا أن عائلته لا تقيم في خيمة وأنهم لا يمتلكوا يومًا جملاً، فزملاؤه في العمل أو في الدراسة أو من يتعامل معهم في حياته اليومية يعتقدون جازمين أن العرب هو فقط ذلك الشخص المقيم في البادية ويسكن خيمة ويملك جملاً، ولا يتصورون إطلاقًا أن العربي يمكن أن يسكن بيتًا أنيقًا، ويتصرف بلباقة وتحضر، ويبدو دائمًا في حلة جميلة وأنيقة، ويملك سيارة فخمة، ويتحكم بشكل جيد في تكنولوجيات الاتصال، ويتحدث اللغات الأجنبية بطلاقة ويسر، ويكوّن علاقات متينة مبنية على اللباقة في الحديث واحترام ذوقيات الاتصال الاجتماعي". انتهى.

ونتفق مع السناتور جيمس أبو رزق، وهو أحد مؤسسي اللجنة العربية – الأميركية لمكافحة التمييز في العام **1980**، وهي أكبر المؤسسات العربية الأميركية حيث يقول "قبل وجود إسرائيل بوقت طويل، فإن صورة العربي شُكلت في قصص الصليبيين ضد (الكفار السفاحين)، وفي سلطان قصص ألف ليلة وليلة، وفي أفلام رودولف فالنتينو". ويضيف السناتور جيمس أبو رزق "لقد رأينا جميعًا إعلانات في الصحف من قبل جماعات يهودية ذات طبيعة عنصرية متطرفة تسعى لتهييج وإثارة الجماهير الأميركية ضد العرب. والهدف الأساسي لهذه الحملة هو تصوير جميع العرب بأنهم جشعون أو مسرفون أو لصوص وسفاحون". ونعتقد – وربما نكون على خطأ – إن هذه الصورة النمطية للعرب والمسلمون تشكلت منذ أزمنة أبعد من ذلك بكثير ولكنها ظلت حبيسة الأرفف والأدراج في الكنائس لفترات طويلة. ولكنها خرجت وانطلقت من تلك الأدراج في عام **1973** حين قرر الملك فيصل رحمه الله وقف تصدير النفط وحظره عن أوروبا، ذلك الحدث – الذي نعتقده أنه حدث – مفصلي في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، أسهم بدور كبير في تسليط ضوء الإعلام الغربي على العرب المسلمين. وبذلك خرجت تلك الصور المغبرة إلى صفحات وسائل الإعلام وشاشاتها، حينئذ بدأت الصحف والشاشات تعج بتلك الصور التي تصور العرب كبدو همجيين وقبائل متخلفة، وراكبي الجمال وتجار العبيد، ومروجي الحروب، وأغنياء يحبون النساء بطريقة سادية.

ولخص الباحث المعروف نعوم تشومسكي هذا الوضع جيدًا حين قال إن "الصحافة الأميركية تمارس الخزي والعار بصورة منتظمة بنشر رسوم كاريكاتورية لشيوخ عرب مصممين على تدمير الحضارة الغربية عن طريق زيادة أسعار النفط، ولو نشرت رسوم كاريكاتورية مماثلة لليهود لتعرضت للإدانة لأنها ستشكل عودة إلى الأبواق الدعائية النازية".

هذه هي صورة الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربية، صورة قاتمة وسوداوية، تقوم على اختزاله الإسلام في التطرف والعنف وتعدد الزوجات ونبذ العلوم والفكر والحضارة ورفض الاندماج والحوار وما إلى ذلك من كل تلك القيم التي جاء بها الإسلام وأضاء بها الغرب، وها هو الغرب اليوم يتنكر لكل ذلك، وشواهدنا الدالة على هذا الأمر كثيرة ولا نريد الإتيان عليها.

وفي المقابل، هل تشكلت منظومة إعلامية عربية تواجه هذه الحملات، ولتُظهر وتُبرز الشخصية الحقيقة للإسلام والعربي أمام العالم ؟ هل استطاع العرب أن يتعاملوا مع وسائل الإعلام الحديثة بمختلف أنواعها وأشكالها بصورة عقلانية ؟ وهل تم تسخيرها من أجل الوصول إلى العالم الشرقي والغربي لتوضيح الكثير من الأمور المخفية عن العالم ؟

للأسف فإن العرب تعاملوا مع الإعلام والسينما والتلفزيون بسذاجة واستخفاف مطلق، فعبر مائة عام من وجود السينما وصناعة السينما والمسرح والتلفزيون في العالم العربي، لم نشاهد قط فيلمًا أو مسرحيةً أو مسلسلاً يحاول فيه مؤلفه أن يظهر الصورة الحقيقة للعربي والإسلام، ليس ذلك فحسب، فيا ليتهم أكتفوا بذلك وسكتوا، إلا أنهم قاموا بتأصيل الصورة الغربية للعربي في الإعلام العربي، فقد وجدنا أن معظم الأفلام والمسلسلات تقدح في الإنسان العربي نفسه، وتحاول أن تنقل الصورة النمطية للإنسان العربي من السينما الغربية – كما هي – إلى السينما العربية، فالرجل الخليجي في تلك الأفلام والمسلسلات لا يعرف من الحياة إلا النساء والخمر والإفراط في الرفاهية، وهو إنسان غبي شبق يحب الجنس إلى الحد الذي لا يشبع، وكذلك المرأة الخليجية الذي تتسكع عارية ويحاول أن تغوي الرجال وبمقابل هي تدفعه.

وفي الآونة الأخيرة فُتحت قنوات تلفزيونية تحاول أن تشوه الإنسان المتدين، فتحاول أن تجسده على أنه إنسان متزمت متعجرف قاسي القلب بارد المشاعر، لا يضحك ولا حتى يبتسم، يهين زوجته ولا يسمع أولاده، يكبت الحريات ويقتل المواهب والإبداعات، ولا يتكلم مع أولاده وزوجته إلا بالضرب، لذلك تحاول أسرته أن تتمرد عليه وعلى أفكاره وعقليته، وهذا ما جعل العديد من الشعوب العربية – اليوم – تحاول أن تنسلخ من أفكارها وعقيدتها ووضعها حتى لا تنعت بأنها مجتمعات متخلفة منغلقة.

ومن ناحية أخرى إن جاءت تلك المسلسلات لتتحدث عن الأسرة العربية فإنها لا تتحدث إلا بالنكد والحزن والبكاء والقتل والمخدرات، ولا تستعرض إلا الشواذ والشاذات من البشر، لماذا تحاول هذه المحطات أن تشوه صورة الأسرة العربية ؟ ألا توجد أسر سعيدة ويمكنها أن تضحك في هذا الجزء من العالم ؟

في الحقيقة لم يكن الإعلام العربي – بجميع صوره – بمستوى الحدث الذي يجري في العالم، فالكثير من الأفلام والمسلسلات العربية لم تتجاوز أطروحاتها حدود الأزمات والمشاكل اليومية الاجتماعية، وإن كنا لا ندعوا ولا نريد الخطب المنبرية المباشرة والتحريضية، وإنما لم نشاهد يومًا أفلام استطاعت أن تجسد القضية العربية الأولى وهي قضية فلسطين، وإن حدث ذلك فكم فيلم في مقابل مئات الأفلام الأخرى التي تنزل الأسواق من غير مضمون ؟ ولم تحاول السينما العربية ولا حتى التلفزيونات العربية أن تظهر العربي على أن إنسان ذو عقلية متفتحة ومستثمر بارع وذكي يسعى للخير ونشر السلام العالمي بين الشعوب، ولم نشاهد قط على الشاشات العربية نموذج فعال إيجابي للشخصية العربية، لم نشاهد أي شيء من ذلك، لماذا ؟

لا نريد أن ننتقد أحد ولا نريد أن نلقي اللوم على أحد فكلنا ملامون، ولا أحد منزهة عن ما يجري، ولكن نعتقد أنه من المناسبة والأولى أن نعيد التفكير في الإعلام العربي ونخرج من قوقعة السذاجة والسطحية التي نتعامل بها مع هذه الوسائل التي يمكن أن تتحول إلى أسلوب جميل يمكن أن نخاطب به الناس من حولنا ونظهر لهم حقيقتنا وحضارتنا.

وما زلنا نتحدث،،